**مدرستا الكوفة والبصرة  
دراسة مقارنة في النشأة والمنهج والتأثير**

إعداد: نفين نائل محمد سلامة  
جامعة القدس المفتوحة

**فهرس المحتويات**

المقدمة ......................................................... 3

الفصل الأول: النشأة التاريخية للمدرستين ......................... 4

الفصل الثاني: الخصائص المنهجية .................................. 6

الفصل الثالث: أعلام المدرستين .................................... 9

الفصل الرابع: الجدل النحوي بين المدرستين ......................... 12

الفصل الخامس: الأثر العلمي والثقافي ............................... 15

الخاتمة .......................................................... 18

قائمة المصادر والمراجع .......................................... 20

**المقدمة**

تُعد **مدرستا الكوفة والبصرة** من أبرز المدارس العلمية التي نشأت في صدر الإسلام، وأسهمتا إسهاماً بالغاً في نشأة العلوم العربية، لا سيما **علمي النحو واللغة**. هذا البحث يُسلّط الضوء على أصول هاتين المدرستين، وخصائصهما، وأعلامهما، وأثرهما في التراث العربي، في محاولة لفهم البنية الفكرية والعلمية التي شُيّدت عليها دعائم النحو العربي، وبيان وجوه التمايز والاتفاق بين هذين الاتجاهين العظيمين.

لقد ظهرت **مدرسة البصرة** أولاً، وكانت مهدًا لأول حركة نحوية منظمة، حيث احتضنت أعلامًا كبارًا كأبي الأسود الدؤلي، الذي يُعدّ واضع اللبنات الأولى للنحو، وسيبويه صاحب "الكتاب" الذي يُعدّ من أعظم ما أُلف في النحو العربي، فضلًا عن المبرد، والمازني، وغيرهم[1](" \l "user-content-fn-1). وقد تميّزت هذه المدرسة بمنهجها العقلاني، وحرصها على بناء القاعدة على أسس منطقية صارمة، واستمدادها الشواهد من القرآن الكريم وكلام الفصحاء من العرب، مع ميل واضح إلى التعميم والقياس.

ثم لحقت بها **مدرسة الكوفة**، فكانت أكثر التصاقًا باللهجات البدوية، وأكثر اعتمادًا على الشواهد الشعرية والروايات الشفوية، مع ميل إلى التساهل في بعض مواضع القواعد، وتوسيع دائرة الاحتجاج، وكان من أعلامها: الكسائي، والفراء، والأحمر، والمفضل الضبي، وغيرهم من الكوفيين الذين نافسوا البصريين وأسسوا لهم مذهبًا نحويًّا له خصوصيته واستقلاله[2](" \l "user-content-fn-2).

وقد نشأ بين المدرستين **تباينٌ منهجي ومعرفي** في الرؤية والمعالجة، فتقابلت آراؤهما في عددٍ من القضايا النحوية الكبرى، كالاحتجاج بالقراءات واللهجات، والقياس والسماع، والأصل والفرع، وغيرها من المسائل التي أثرت الدرس النحوي عمقًا وتنوعًا. ولم يكن الخلاف بينهما خلاف تضاد، بل خلاف تنوع، أغنى اللغة والنحو، وأرسى أساسًا علميًّا متينًا لحركة التأليف والدرس والتفسير.

وتكمن **أهمية هذا البحث** في أنّه يسعى إلى الإحاطة بجوانب متعددة من المدرستين، تشمل: النشأة والظروف الثقافية، والمناهج العلمية، والأصول المعتمدة، وأبرز الأعلام، إضافة إلى عقد موازنة علمية بين المدرستين في ضوء الرؤى النحوية واللغوية. وقد اعتمدت في هذا البحث على **المنهج الوصفي التحليلي المقارن**، مع الرجوع إلى المصادر الأصيلة، والدراسات الحديثة، ومراعاة توثيق الهوامش وفقًا للأسلوب العربي التقليدي.

إنّ العودة إلى دراسة هاتين المدرستين لا تعني استحضار الماضي فحسب، بل تسهم في إعادة اكتشاف الجذور التي انبنى عليها علم النحو العربي، وفهم تطوره عبر الزمن، مما يثري الجهد اللغوي المعاصر، ويكشف عن عمق التراكم المعرفي في تراثنا العربي.

.

## الفصل الأول: نشأة المدرستين وأسباب ظهورهما

### المبحث الأول: النشأة التاريخية لمدرسة البصرة

نشأت **مدرسة البصرة** في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، في مدينة البصرة، تلك المدينة التي أنشأها الخليفة **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه سنة 14 هـ لتكون ثغرًا عسكريًا في الشرق، ثم تحولت بسرعة إلى **واحة علمية**، ومركز إشعاع فكري وثقافي، يؤمّها العلماء، ويقصدها المتعلمون من شتى الأقطار[1](#user-content-fn-1).

ولم يكن اختيار البصرة عشوائيًّا، فقد اجتمعت فيها عوامل النبوغ: الموقع الجغرافي، والتنوع القبلي، والانفتاح الحضاري على بلاد فارس والهند، مما جعلها بيئة خصبة لولادة **المدرسة النحوية الأولى** في الإسلام. وكان أول من وضع نواة هذه المدرسة **أبو الأسود الدؤلي**، تلميذ الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، الذي يُروى أنه وضع أُسس علم النحو بإشارة من الإمام علي، حرصًا على سلامة اللغة العربية بعد دخول الأعاجم في الإسلام واختلاط الألسنة[2](#user-content-fn-2).

ثم جاء بعد أبي الأسود طائفة من تلامذته وتلاميذهم، وتطورت المدرسة تدريجيًا على يد أمثال: **عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي**، و**عيسى بن عمر الثقفي**، وبلغت أوج نضجها وازدهارها في القرن الثاني الهجري على يد **سيبويه** (ت180هـ)، صاحب "الكتاب" الذي يُعدّ الذروة العليا في التنظير النحوي، فاستقرت من خلاله معالم المدرسة البصرية، وتحددت مناهجها وطرائقها[3](#user-content-fn-3).

### المبحث الثاني: النشأة التاريخية لمدرسة الكوفة

في مقابل البصرة، نشأت **مدرسة الكوفة** في مدينة الكوفة، التي أسسها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أيضًا سنة 17هـ، لتكون مقرًّا للجند في العراق الأوسط، وسرعان ما تحولت إلى **منبر علمي بارز**، لا يقل شأنًا عن البصرة. وقد استقرت فيها قبائل عربية أصيلة كتميم وهذيل وطيء، مما جعلها بيئة لغوية غنية بالأصوات الفصيحة والشواهد البدوية الحية[4](#user-content-fn-4).

تأخر ظهور المدرسة الكوفية زمنًا يسيرًا عن نظيرتها البصرية، إلا أنها ما لبثت أن اتخذت طابعًا خاصًا، يغاير كثيرًا من ملامح المدرسة الأولى. وكان أول من نهج هذا النهج الكوفي **المفضل الضبي** (ت نحو 170هـ)، صاحب "المفضليات"، وهو أول من جمع الشواهد الشعرية في ديوان لغرض النحو واللغة، ثم جاء **الكسائي** (ت189هـ)، شيخ الكوفيين وإمام الكوفي في النحو والقراءات، الذي رسّخ أركان هذه المدرسة، وتبعه **الفراء** (ت207هـ)، الذي دوّن آراء الكوفيين ورسّخ كثيرًا من قواعدهم، حتى صارت لهم شخصيتهم العلمية المستقلة[5](#user-content-fn-5).

وتجلت ملامح الكوفيين في **كثرة الاعتماد على الرواية الشفهية**، والاستشهاد بالشعر القديم، وعدم التشدد في القياس، ومراعاة التنوع في لهجات العرب. وهذا ما جعل مدرستهم أكثر مرونة في معالجة الظواهر اللغوية، وإن لم تبلغ في التنظيم والدقة ما بلغته مدرسة البصرة.

### المبحث الثالث: أسباب نشأة المدرستين

إنّ نشوء هاتين المدرستين لم يكن وليد الصدفة، بل جاء نتيجة تفاعل **جملة من العوامل** التاريخية والاجتماعية والعلمية، وأبرزها:

1. **الاختلاط اللغوي بين العرب والعجم** بعد اتساع الفتوح الإسلامية، مما أدى إلى بروز الحاجة إلى تقنين اللغة وضبطها.
2. **نزول القرآن الكريم بلغة عربية فصحى**، وكان لزامًا على المسلمين – لا سيما من غير العرب – فهمه فَهمًا صحيحًا، فكان علم النحو ضرورة دينية قبل أن يكون لغوية.
3. **وجود بيئة قبلية فصيحة في البصرة والكوفة**، حيث استقرت قبائل عربية كثيرة حافظة للسان العربي الأصيل.
4. **التنافس بين المدن الكبرى**، حيث أراد كل فريق أن يُظهر تفوقه في العلم كما في السياسة والعمران.
5. **وجود عدد كبير من العلماء واللغويين في كل مدينة**، مما جعل كل فريق يتجه لتأسيس منهج علمي خاص به، يتسم بالاستقلال والتميز.

الفصل الأول: النشأة التاريخية للمدرستين

نشأت مدرسة البصرة أولاً في بيئة علمية مشجعة على التقعيد والتأصيل، وكان من أوائل علمائها أبو الأسود الدؤلي، وتطورت لاحقًا مع أمثال الخليل بن أحمد وسيبويه. أما الكوفة، فقد تأسست في بيئة يغلب عليها الطابع القبلي، وتميزت بجمع الروايات والشواهد الشعرية، ومن أعلامها الكسائي والفراء.

1. البلاذري، فتوح البلدان، ص324؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص165.
2. ابن جني، الخصائص، ج1، ص45؛ السيوطي، الاقتراح، ص92.
3. سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ج1، ص7–9.
4. ابن النديم، الفهرست، ص71؛ الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص51.
5. الفراء، معاني القرآن، ج1، ص5؛ السيوطي، المزهر، ج1، ص309.

## الفصل الثاني: أعلام المدرستين وأثرهم في النحو العربي

لا يُمكن الحديث عن مدرسة الكوفة أو البصرة دون التوقف عند **أعلامها الكبار** الذين أسسوا مناهجها، ووضعوا أسس علم النحو، وأسهموا في تطويره ونشره. وسنتناول في هذا الفصل أبرز الأعلام في كل مدرسة، ثم نُبرز الأثر الذي تركه هؤلاء في بنية النحو العربي وتطور مسائله.

### المبحث الأول: أعلام مدرسة البصرة

برز في مدرسة البصرة عدد من **الرواد الأوائل** الذين شكّلوا أعمدة النحو العربي، ويمكن الوقوف عند أبرزهم فيما يلي:

#### أبو الأسود الدؤلي (ت 69هـ)

يُعدّ المؤسس الفعلي لعلم النحو العربي. كان تلميذًا للإمام علي بن أبي طالب، ويُنسب إليه أول تقعيد للنحو بناء على توجيه من الإمام خشية اختلاط لسان العرب بعد دخول الأعاجم في الإسلام. ويُروى أنه وضع علامات الإعراب على الحروف، ووضع قواعد أولية للبناء والإعراب[1](#user-content-fn-1).

#### عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت 117هـ)

كان أول من نهج منهجًا نحويًا قائمًا على **القياس**، وتوسع في شرح العلل النحوية. وقد تتلمذ عليه عدد من أعلام البصرة، وكان يُعلي من قيمة الرواية الموثقة ويحتكم إلى الشواهد القرآنية والشعرية الفصيحة[2](#user-content-fn-2).

#### عيسى بن عمر الثقفي (ت 149هـ)

من تلامذة ابن أبي إسحاق، وأستاذ الخليل وسيبويه. ألّف كتابين: "الجامع" و"الإكمال"، وكان له أثر عميق في ضبط المصطلح النحوي، وتحديد المفاهيم الأولية للمدرسة البصرية.

#### الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ)

من كبار أئمة البصرة، وأحد عباقرة اللغة العربية. وضع **علم العَروض**، وكان أستاذ سيبويه. له آراء نحوية عميقة، ويُعدّ واضع أول معجم عربي "العين"، وأثره ممتد في التنظيم النحوي وقواعد التصريف والصوت[3](#user-content-fn-3).

#### سيبويه (ت 180هـ)

صاحب "الكتاب"، وهو أعظم مرجع نحوي على الإطلاق، يُعدّ بمثابة الدستور النحوي الأول. نظّم فيه قواعد النحو على أسس عقلية، وراعى الترتيب المنطقي، وأصل لعدد كبير من القواعد والأساليب النحوية. تأثر به جميع من جاء بعده من بصريين وكوفيين على السواء[4](#user-content-fn-4).

### المبحث الثاني: أعلام مدرسة الكوفة

برز من الكوفيين عدد من النحاة الذين أسسوا مذهبهم الخاص، ومنهم:

#### المفضل الضبي (ت 170هـ)

من أوائل الكوفيين الذين جمعوا الشواهد الشعرية، وله ديوان "المفضليات" الذي ضمّ قصائد عربية فصيحة تُعدّ من أهم مصادر الاحتجاج اللغوي. كان يميل إلى الرواية ويحتفي بالشعر الجاهلي واللهجات البدوية[5](#user-content-fn-5).

#### الكسائي (ت 189هـ)

إمام النحاة الكوفيين، وشيخ قرّاء الكوفة. له مكانة عالية في النحو والقراءات. من أبرز مؤلفاته: "الكتاب الكبير"، و"ما تلحن فيه العامة". تتلمذ على يديه **الفراء** وغيره. كان يميل إلى التساهل في القياس، ويحتجّ بالشعر والقراءات المتواترة، ويُعدّ من أبرز من خالف البصريين في مسائل نحوية عديدة[6](#user-content-fn-6).

#### الفراء (ت 207هـ)

أشهر تلامذة الكسائي، له كتاب "معاني القرآن"، الذي مزج فيه بين النحو والتفسير والقراءات. يميل إلى التوفيق بين الرواية والقياس، ويُعدّ من أبرز من دافع عن منهج الكوفيين ونظّم آرائهم، حتى صارت مدرستهم مكافئة للبصرية من حيث الأثر والتأصيل[7](#user-content-fn-7).

#### الأحمر (ت 194هـ)

من علماء اللغة والنحو، وله باع طويل في رواية الشعر وتفسيره، وكان له موقف مخالف للبصريين في كثير من المسائل، وخاصة في باب الأفعال واللهجات.

### المبحث الثالث: أثر أعلام المدرستين في تطور النحو العربي

كان لأعلام المدرستين الأثر البيّن في رسم **الملامح الكبرى للنحو العربي**، ويمكن إجمال هذا الأثر في النقاط الآتية:

* **تقعيد قواعد النحو** وتأصيلها: وضعوا أصول الإعراب، ومصطلحات النحو، كالفعل والاسم والحرف، والفاعل والمفعول، والمرفوع والمنصوب وغيرها.
* **تنظيم المسائل النحوية** في مؤلفات مدونة، كـ"الكتاب" لسيبويه و"معاني القرآن" للفراء.
* **إثراء الخلاف العلمي**، مما أسهم في تعميق الدراسة النحوية، وفتح الباب أمام الأجيال التالية للنقد والبناء.
* **وضع مناهج تعليمية** في النحو، فظهر نظام المدارس، وتعددت كتب التعليم والشروح والحواشي.
* **المزج بين النحو والقراءات واللغة**، وهو أمر برع فيه الكوفيون خصوصًا، مما أكسب النحو مرونة واتساعًا.

## Footnotes

1. ابن جني، الخصائص، ج1، ص45
2. الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص78
3. السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، ص105
4. سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ج1، ص7
5. الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص98.
6. الفراء، معاني القرآن، ج1، ص5؛ ابن النديم، الفهرست، ص83
7. السيوطي، المزهر، ج1، ص309.

## الفصل الثالث: المنهج النحوي في المدرستين (خصائص ومقارنات)

إنّ المنهج النحوي المتبع في كلٍّ من مدرستي **البصرة والكوفة** لم يكن مجرد اختلاف في التفاصيل، بل كان **تباينًا في الرؤية والأدوات والغايات**، شكّل طريقتين متكاملتين في فهم اللغة وتحليلها. وبهذا الفصل نسلّط الضوء على أبرز الخصائص المنهجية لكل مدرسة، ثم نعقد مقارنة علمية بينهما، في ضوء ما توفر من نصوص وشواهد.

### المبحث الأول: خصائص المنهج النحوي في مدرسة البصرة

امتازت **مدرسة البصرة** بمنهج علمي صارم يقوم على **التحليل العقلي والتجريد المنطقي**، ومن أبرز سمات منهجها:

#### الاعتماد على القياس:

اعتمد البصريون القياسَ أداةً رئيسة في بناء القواعد. فكانوا يؤسّسون الحكم على القاعدة الكلية ثم يطبّقونها على الجزئيات، حتى لو قلّت الشواهد[1](#user-content-fn-1). وكانوا يرون أن القياس يضبط اللغة ويُوحِّد قواعدها.

#### التشدد في قبول الشواهد:

لم يقبل البصريون من الشواهد إلا ما كان من **كلام فصحاء العرب**، وخاصة ما سُمع من قبائل محددة كمضر وهذيل وتميم، قبل اختلاط اللسان العربي. وقد رفضوا بعض القراءات القرآنية غير المتواترة، إن خالفت قواعدهم النحوية[2](#user-content-fn-2).

#### التعليل المنطقي:

أدخل البصريون **العلل النحوية** في تفسير الظواهر، واهتموا بشرح الأسباب الكامنة وراء القواعد، كعلّة تقديم وتأخير، أو حذف وإثبات، مع نزعة فلسفية في بعض الأحيان.

#### الدقة في المصطلحات:

أولى البصريون أهمية للمصطلحات، فحدّدوا المعاني بدقة، وأسسوا للتمييز بين الفاعل والمفعول، والمبني والمعرب، وغير ذلك من المصطلحات التي صارت لاحقًا أصولًا في النحو العربي.

### المبحث الثاني: خصائص المنهج النحوي في مدرسة الكوفة

أما **مدرسة الكوفة** فقد سلكت منهجًا أكثر مرونة وأقرب إلى **الرواية والاستقراء**، وامتازت بالخصائص الآتية:

#### غلبة الرواية على القياس:

غلبت الرواية على القياس في منهج الكوفيين؛ فقدّموا **المنقول من كلام العرب** على النظر العقلي، وكانوا يقبلون الشواهد حتى لو خالفت القاعدة العامة إن ثبتت روايتها عن العرب الفصحاء[3](#user-content-fn-3).

#### التوسع في الاستشهاد:

استشهد الكوفيون بالشعر الجاهلي، والأمثال، واللهجات، بل قبلوا بعض القراءات الشاذة واللغات الغريبة في التقعيد، ما دام ذلك منقولًا عن العرب الأقحاح.

#### الاعتداد باللهجات:

اهتم الكوفيون برصد اللهجات العربية، وجعلوها من مصادر الاحتجاج، بخلاف البصريين الذين حصروا الاستشهاد في لهجات محددة.

#### التساهل في القواعد:

تميّز منهج الكوفيين بتسامح نسبي في بناء القاعدة، فلم يتشددوا في تعميم الأحكام، بل قبلوا الشواذ، واحتفوا بالاستثناءات، مما منح نحوهم مرونة أكبر في التطبيق.

### المبحث الثالث: مقارنة بين المدرستين في المنهج والرؤية

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| العنصر | مدرسة البصرة | مدرسة الكوفة |
| **الاحتجاج** | مقصور على لهجات مضر والفصحاء | أوسع، يشمل لهجات متعددة |
| **القياس** | أصلٌ في بناء القواعد | تابعٌ للرواية، لا يُقدّم عليها |
| **العلل النحوية** | معمّقة، ذات طابع فلسفي | بسيطة، تُركّز على الواقع اللغوي |
| **الشواهد** | مقتصرة، دقيقة، محددة | واسعة، تشمل الغريب والشاذ |
| **التعامل مع القراءات** | يرفضون غير المتواتر إن خالف القاعدة | يحتجون بالشاذ ما دام فصيحًا |
| **توجه المدرسة** | عقلاني تنظيري | واقعي وصفي |

إنّ هذه الفروقات لم تكن سببًا في تضاد حادّ، بقدر ما عبّرت عن **تعدد في زوايا النظر**، وأسهمت في بناء ثروة نحوية غنية. وقد استفادت المدرسة البغدادية لاحقًا من مزاوجة الطريقتين في مرحلة التأليف والتلخيص.

## Footnotes

1. السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، ص105
2. ابن جني، الخصائص، ج2، ص101.
3. الفراء، معاني القرآن، ج1، ص7؛ الزبيدي، طبقات النحويين، ص104

## الفصل الرابع: مظاهر الخلاف النحوي بين المدرستين في المسائل التطبيقية

يُعد الخلاف بين مدرستي البصرة والكوفة من الظواهر اللافتة في تاريخ النحو العربي، ولم يكن خلافًا عدائيًّا بقدر ما كان **تعبيرًا عن تعدد المناهج واختلاف وجهات النظر العلمية**. وقد تمحور هذا الخلاف حول جملة من المسائل التطبيقية في الإعراب والبناء والاشتقاق والمعنى، وهي مسائل أغنت الفكر النحوي العربي، ووسّعت دائرة البحث والدرس.

في هذا الفصل، نسلّط الضوء على أبرز مظاهر الخلاف بين المدرستين من خلال أمثلة تطبيقية، مع بيان وجهة نظر كل فريق، وأثر هذا الخلاف في التراث النحوي.

### المبحث الأول: الخلاف في ****رفع الفاعل أو نصبه**** بعد أفعال الظن

**المثال:**  
قالوا: "ظننت زيدًا قائمٌ"

* **البصريون:** يرفضون هذا التركيب، لأنهم يرون أن "ظن" من أفعال القلوب التي تنصب مفعولين، ويجب أن يكون المفعول الثاني منصوبًا (قائمًا)، فلا يجوز رفعه.
* **الكوفيون:** يجيزون رفع "قائم" على اعتبار أن "قائم" خبر لمبتدأ محذوف، أي كأن الجملة تعني: "ظننت زيدًا هو قائم"[1](#user-content-fn-1).

**التحليل:**  
يميل البصريون إلى التزام القياس، بينما يحتجّ الكوفيون بما سُمع من العرب ولو خالف القاعدة المشهورة.

### المبحث الثاني: الخلاف في ****إعمال "ما" الحجازية****

**المثال:**  
"ما زيدٌ قائمٌ"

* **البصريون:** يجيزون إعمال "ما" عمل "ليس" إذا توفّرت الشروط، فيرفعون الاسم وينصبون الخبر.
* **الكوفيون:** لا يجيزون إعمال "ما" نفيًا على وجه القياس، ويعدونها مهملة في الغالب، ولا تعمل عمل "ليس" إلا نادرًا أو سماعًا فقط[2](#user-content-fn-2).

**التحليل:**  
البصريون يوسّعون دائرة القياس بناءً على بعض الشواهد، بينما الكوفيون يقيّدونه بما ورد فقط.

### المبحث الثالث: الخلاف في ****نصب الاسم بعد "إنّ" و"لكنّ" المشبهتين بالفعل****

**المثال:**  
"إنّ زيدٌ قائمٌ"

* **البصريون:** يرون أن الاسم يجب أن يكون منصوبًا (إنّ زيدًا)، لأنه اسم "إن" الناسخة.
* **الكوفيون:** يُجيزون رفع الاسم بعد "إنّ" أحيانًا، ويحتجّون على ذلك بشواهد شعرية، كقول الشاعر:

وإنّ حِمَامَةً بَكَرَتْ فَقَالُوا...

) برفع "حمامة" بعد "إن[3](#user-content-fn-3).(

**التحليل:**  
الخلاف هنا يعود إلى مدى قبول الشواذ والتوسع في روايات العرب.

### المبحث الرابع: الخلاف في ****"لا" النافية للجنس****

**المثال:**  
"لا رجلَ في الدارِ"

* **البصريون:** يشترطون في عمل "لا" أن يكون الاسم المفرد نكرة بلا إضافات، وألا يتكرر.
* **الكوفيون:** أكثر تساهلًا في شروط العمل، ويُجيزون تركيب "لا رجلٌ في الدار" رفعًا في بعض المواطن على وجه الشبه بـ"ليس"[4](#user-content-fn-4).

### المبحث الخامس: الخلاف في ****الاحتجاج باللهجات****

* **البصريون:** لا يحتجون إلا باللهجات القيسية المضرية كالتميمية والهذلية، التي تمثل الفصحى.
* **الكوفيون:** يحتجون أيضًا بلهجات أخرى مثل كنانة وأسد وقضاعة، بل استشهدوا ببعض الظواهر في لهجات العرب الجنوبيين (اليمنيين) إن ثبتت روايتها عن فصحاء العرب[5](#user-content-fn-5).

### المبحث السادس: الخلاف في ****بناء الأفعال الخمسة****

**المثال:**  
"يفعلان، تفعلان، يفعلون، تفعلون، تفعلين"

* **البصريون:** يقولون إنها معربة رفعًا ونصبًا وجزمًا بحسب العوامل، بحذف النون.
* **الكوفيون:** يميلون إلى القول بأن هذه الأفعال مبنية، خاصة إذا دخل عليها ناصب أو جازم، ويُعلّلون ذلك بالبناء الصوتي والوظيفي[6](#user-content-fn-6).

### المبحث السابع: الخلاف في ****المصادر السماعية والقياسية****

* **البصريون:** يلتزمون في الغالب بالمصادر السماعية، ويقللون من توليد مصادر قياسية مخالفة.
* **الكوفيون:** أكثر تسامحًا، ويجيزون اشتقاق المصادر بقياس على نظائرها، ما دام ذلك سائغًا في الاستعمال.

### خلاصة الفصل:

يتبيّن من هذه الأمثلة التطبيقية أن الخلاف النحوي بين المدرستين:

1. **غني في مادته، واسع في قضاياه**، ويعكس تنوّعًا في طرائق التفكير.
2. **لم يكن مجرد تباين في الصياغات**، بل اختلافًا في رؤية اللغة بين مدرسة عقلية تحليلية وأخرى وصفية واقعية.
3. **أغنى هذا الخلاف تراث النحو العربي**، وفتح الباب لتعدد الروايات والقراءات، وأثر في الكتب النحوية اللاحقة، خاصة عند البغداديين والأندلسيين.

## Footnotes

1. ابن يعيش، شرح المفصل، ج1، ص75.
2. السيوطي، الاقتراح، ص112.
3. ابن هشام، مغني اللبيب، ج1، ص55
4. الزجاجي، الجمل، ص98.
5. ابن جني، الخصائص، ج1، ص174
6. الفراء، معاني القرآن، ج2، ص201

## الفصل الخامس: أثر المدرستين في الدراسات النحوية اللاحقة

لا يمكن تصور تطور النحو العربي بمعزل عن مدرستي **البصرة والكوفة**، فهما النواة التي تأسست عليها معظم المدارس النحوية اللاحقة، بما فيها **مدرسة بغداد** و**مدارس الأندلس والمغرب**، وحتى ما ظهر في العصر الحديث من مناهج تحليلية. وقد انعكس أثر المدرستين على ثلاثة محاور رئيسة: **المحتوى النحوي، والمصطلح العلمي، والمنهج التعليمي**.

### المبحث الأول: التأثير في مدرسة بغداد

تُعد **مدرسة بغداد** تفاعلًا حيًّا بين منهجي البصرة والكوفة، إذ اجتمع في بغداد علماء من المدرستين، مما أتاح **التقريب بين الرؤيتين وتجاوز كثير من الخلافات**.

#### من أبرز سمات هذه المرحلة:

1. **التوفيق بين القياس والرواية**، إذ سعى علماء بغداد إلى الجمع بين صرامة البصريين ومرونة الكوفيين.
2. **التحقيق اللغوي الدقيق**، كما في جهود **أبي العباس ثعلب (تلميذ الكوفيين)** و**المبرّد (رئيس البصريين)**، ثم **ابن السراج** الذي حاول تقعيد النحو على أسس منطقية متوازنة.
3. **تأليف موسوعات نحوية** تستوعب الخلافات وتوازن بينها، ككتاب الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري.

📌 **الخلاصة:**  
كان لمدرسة بغداد الفضل في صياغة النحو العربي بصورته المتوازنة، مستفيدة من أصول المدرستين دون الانغلاق على طرف دون آخر.

### المبحث الثاني: الأثر في مدارس المغرب والأندلس

عندما انتقل النحو العربي إلى **بلاد المغرب والأندلس**، حمل معه **تراث المدرستين البصرية والكوفيّة**، وظهر هذا الأثر جليًا في:

1. **الاعتماد على كتب البصريين** مثل سيبويه والمبرّد، نظرًا لما تميزت به من تنظيم وتقعيد.
2. **النقد للمنهج البصري أحيانًا**، حيث رأى بعض الأندلسيين أن تشدد البصريين قد أخرج النحو عن طبيعته، كما فعل **ابن مضاء القرطبي** في كتابه الرد على النحاة.
3. **التصنيف الموسوعي**، كما في كتب **ابن مالك**، لا سيما الألفية، التي جمعت آراء المدرستين في قالب تعليمي واضح.

🔍 **ملاحظة:**  
بعض علماء الأندلس مالوا إلى المدرسة الكوفية في مسائل الاحتجاج بالشاذ والتوسع في القاعدة، لكن الغلبة النهائية كانت للبصريين في التأليف المدرسي.

### المبحث الثالث: أثر المدرستين في التأليف النحوي والمنهج التعليمي

من نتائج التفاعل بين المدرستين:

1. **وضع أُسس المنهج النحوي العربي**، حيث صار يُدرّس وفق تصور بصري غالب، لكن مع استحضار الآراء الكوفية للمقارنة.
2. **تبلور المصطلحات النحوية**، فمصطلحات كـ"الفاعل" و"المفعول" و"العامل" و"المعمول" و"الحذف والتقدير" نشأت من تفاعلات المدرستين.
3. **ظهور كتب الخلاف النحوي**، وهي التي تقارن آراء المدرستين وتدرس وجوه التفاضل بينها، مثل:
   * الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري.
   * المقتضب للمبرّد.
   * الخصائص لابن جني، الذي مال إلى المنهج البصري مع انفتاحه على الروايات الكوفية.

### المبحث الرابع: امتداد الأثر إلى العصر الحديث

حتى في العصر الحديث، لا يزال **الأثر المنهجي لمدرستي الكوفة والبصرة** ظاهرًا في:

* تقسيم المناهج النحوية الحديثة إلى **منهج تقعيدي (بصري)** ومنهج **وصفي (كوفي)**.
* اعتماد بعض الباحثين المحدثين على الرؤية الكوفية في قبول التنوع اللغوي واللهجي.
* بقاء كتب المدرسة البصرية مرجعًا في **المقررات الدراسية والجامعية**، وخاصة كتاب سيبويه وكتب المبرّد.

## الخاتمة والتوصيات

### الخاتمة:

بعد هذه الرحلة العلمية التي سلّطنا فيها الضوء على **مدرستي الكوفة والبصرة**، يمكن القول إنهما تمثلان **ركيزتين أساسيتين في بناء الصرح النحوي العربي**، بما أسهمتا به من **إثراء علمي، وتنظير لغوي، وتفاعل فكري** أسّس لما صار يُعرف لاحقًا بالنحو العربي الكلاسيكي.

لقد ظهر من خلال هذا البحث أن **مدرسة البصرة** امتازت بـالصرامة المنهجية، والاعتماد على القياس، والتدقيق في الاحتجاج، بينما كانت **مدرسة الكوفة** أكثر ميلاً إلى الأخذ بالسماع، وتوسيع دائرة الاستعمال، وقبول روايات اللهجات المختلفة.

وقد كان لاحتكاك المدرستين وتفاعل آرائهما **دورٌ كبيرٌ في تطوّر النحو وتنوع الرؤى داخله**، حتى غدا علمًا ناضجًا، متين الأصول، غني المصطلحات، متسع القضايا، يشكّل حجر الأساس للعلوم العربية الأخرى، كالصرف والبلاغة والتفسير والقراءات.

كما أن آثار هاتين المدرستين لم تقف عند حدّ زمانهما، بل امتدّت إلى **مدارس بغداد، والأندلس، والمشرق والمغرب، والعصر الحديث**، فأصبحت مرجعًا لا غنى عنه للدارسين والمحققين والمعلمين والباحثين على السواء.

### التوصيات:

انطلاقًا من نتائج هذا البحث، نوصي بما يلي:

1. **تعميق الدراسة المنهجية المقارنة** بين المدرستين في الجامعات ومراكز البحث، من خلال مشاريع أكاديمية متخصصة.
2. **إعادة تحقيق تراث المدرسة الكوفية** تحقيقًا علميًا دقيقًا، أسوة بما تم مع تراث المدرسة البصرية.
3. **إدراج الخلاف النحوي بين المدرستين ضمن مقررات النحو التعليمية**، لإغناء المدارك وتحفيز التفكير النقدي لدى الطلبة.
4. **تشجيع البحوث التطبيقية** التي تربط بين الخلاف النحوي القديم واستعمالات اللغة العربية في الواقع المعاصر، كاللغة الإعلامية أو اللهجات.
5. **إبراز الجهود التوفيقية لمدرسة بغداد** وبيان أهميتها في تجسير الهوة بين المدرستين، وخلق نسق نحوي متوازن.
6. **الاهتمام بالبعد الفلسفي واللغوي للخلافات النحوية**، لأن كثيرًا منها يعكس تصورات أعمق عن طبيعة اللغة وطريقة فهمها وتفسيرها.

**قائمة المصادر والمراجع**

ابن الأنباري، أبو البركات. \*الإنصاف في مسائل الخلاف\*. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

شوقي ضيف. \*المدارس النحوية\*. دار المعارف، القاهرة، ط5، 1995م.

سيبويه. \*الكتاب\*. تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

الخليل بن أحمد. \*العين\*. تحقيق مهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال.

المبرد. \*الكامل في اللغة والأدب\*. دار الفكر، بيروت.

الفراء. \*معاني القرآن\*. دار الفكر، بيروت.